

نضال الفلسفة والدين في اغريقيا القديمة

مثل الحياة كمثل السوق يقصده البعض لتبادل السلع ، بينما يهتم البعض الآخر بما فيه من وسائل اللهو . ولكن هناك من يقصده للملاحظة والدرس . هؤلاء هم الفلاسفة الذين يقارنون ويستنتجون في حين يجري غيرهم وراء الفخر والثروة ، بينما يسمى الآخرون لسد حاجاتهم الدنيوية

هناك فرق بين الفيلسوف والعالم ، فالاول يبحث عن كل شيء جلياً كان او خفياً ، في حين ان الآخر يطبق النظريات على الاختبار

كان الاغريق قبل قيام الفلسفة بينهم يروون ظاهراً بما يتناقضونه من الاساطير عن كيفية نشوء العالم ، وكانوا يأمنون (من انس) آلهتهم ويمثلونهم في قوات طبيعية أو أجسام

لعب الشعراء دوراً عظيماً في تكوين ونشر الاديان اليونانية ، الامر الذي لم يحدث له مثيل في تاريخ أى امة اخرى . فان لبس الشعراء للمسوح ظاهرة غير مألوفا الا بين قدماء الاغريق . وكان السبب في ذلك انعدام طبقة الكهنة في اغريقيا القديمة . وليس معنى هذا انه لم يكن هناك رجال متدينين ، بل هؤلاء قد تواجدوا ، وانما لم تكن تجمعهم جامعة ولم تكن لهم قوة تفوذ وكل الجماعات الدينية كانت مكونة من عدة رجال يسمون برأى الهى مخصوص ، ويحتفظون بتقاليد معينة ، ويتداولون تاريخ جماعتهم المألوء بقصص المعجزات والمدهشات

وبدلاً من القسوس كان ينضم هؤلاء الناس الى وحدات الجيش مثاهم في ذلك مثل الشعراء ومثل السحرة ، وكل هؤلاء كانوا يكونون مجلس الحرب الاستشاري لقائد التجريده . وكانت آراءهم تبسط كما لو كانت مستقاة من الآلهة . ولذلك كانوا مسيطرين تمام السيطرة على القادة والجنود ، ونالوا من وراء ذلك غنى وافرا لا يقل عن نصيب رجال الدين القدماء من البابليين والمصريين ، او من رجال الكنيسة الكاثوليكية في عصر أوروبا المظلم

فمن حسن حظ العقلي اليوناني ان قامت تقاليده على الاساطير وهي اقل تغلغلا في النفس من التقاليد الدينية التي اعتنقها الشرق ، خصوصا وان دعاء هذه الاساطير كانوا متعددي الغايات والوسائل ، وكلها متضاربة مع بعضها فكان من السهل التسليم بجواز ترك فكرة لاعتناق اخرى

وللشعراء الاسطوريين بوجه عام مدرستان قد جتان في اليونان ، يمثل احدهما هومر ، حين يمثل الاخرى هيزيود ، وكان الاول من الطائفتين بتجسد الآلهة في صور بشرية ، بخلاف الآخر الذي كان يظنهم ممثلين للقوات الطبيعية فساكن زمن جامع الضباب يرمز الى السماء العليا ، وكانت اثينا تحمل له درعه واما الابن ابولو فكان ممثل الشمس المضيئة ، هذه هي الآلهة العليا المهمة وعند ماسادت الاساطير المتضاربة المتناقضة جو اليونان الفكرى قامت قائمة المفكرين من نوع آخر (هؤلاء هم « الحكماء Sages) ولو ان هؤلاء لمعنوا اولا في التخبط البعيد عن العلم الا انهم اخذوا ينظفون اراءهم على مر الزمن ، وتركوا لهم آثارا باقية الى اليوم . مثل « كن متوسطا » اعرف نفسك » الخ

ونتج عن تفكير هؤلاء الحكماء تنظيم القوانين الادبية الراجحة وتأسيس العلم الايجابي الامور التي نتج بعضها عن اديان الشرق دون ان تتماشى مع الزمن ، ولم ينتشر بعضها بالمرّة بين امم كانت تعمل بايمان لايسهل التحول عنه ، ويمكن ان تقول بعد ذلك ان آلهة الاغريق القدماء كانت متنوعة بجمعها فرعان ، آلهة سماوية وآلهة ارضية (سفلى) وأشهر الآلهة الاولى من سبق ذكرهم ، وهم زمسن وابولو واثينا . وكانوا يمثلون السماء الساطعة المتسلطنة فيها الشمس ، بينما كانت الآلهة السفلى المهمة بليتو اله القبر المتسبب في انبات الزرع وانباغ الماء ، ودعتر « امناء الارض » مع ابنتها برسيفوني ، واخيرا ديونيسس رب الجداول واله الحمر ، وكان آلهة السماء متنوعة بالطبقات العالية من الامة . اما الطبقة العاملة الوضيعة فكانت تتبع الآلهة السفلى لانها التي تعطيهم المحاصيل والخيرات التي يتقوتون بها . وهؤلاء الاخيرين هم الذين

اغرقوا في الأساطير اى اغراق فكانوا يعتقدون ان ديمتر « امهم الارض » كانت تنوح كل عام على ابنتها برسيفونى « الربيع المسكل جبينه بالزهور » التى اختطفها الى الموت لتشاطره ادارة مملكتته السفلى . كذلك كانوا يعتقدون أن ديونيسس كان يقطع اربا تحت معصرة الخمر فى كل سنة . ولم تكن الزهور النضرة والاوراق الخضراء الا رمز القيامة برسيفونى السنوية - ابان فصل الربيع - وهو وقت نشور الارواح المقبوضة

ويجب ان لاتغاضى عن تأثير الحالة الاقتصادية فى الوجة الاخلاقية لطبقات اى امة ، فالطبقات الدنيا أكثر اهتماما بالاخلاق عن الطبقات الراقية لان الفقير يبذل جهده دائما للدفاع عن كيانه ضد هجوم الصفات المألزمة للغنى كالترف المحتاج للاتفاق على سعة وهو مالا يقدر عليه الفقير

لذلك نجد هيزيود - شاعر الرعاع - اكثر تمسكا بالفضيلة من هومر - شاعر المحاربين من الاشراف - فانك لاتعثر على فكرة عقاب الآخرة فى الالياذة، بينما تجده متجلجا فى الاوديسى

وحتى هذا المجال الاخلاقى قد اقتحمه حكماء اليونان الاقدمين خصوصا فى العهد الفيثاجورى فكانوا من دعاة الفضيلة

وفى عهد السفسطائيين من الحكماء اخذ نظام التعليم يدخل مرحلة جديدة لان أوائلك النفر من الحكماء اتخذوا على عاتقهم الانتقال من مكان لا آخر لالتقاء المحاضرات على الشعب . وبالطبع كانت محاضراتهم تقضى على اسس الاساطير الشعبية ، التى وان تهذبت لمزج بعض الحكماء السابقين للفلسفة بالشعر ، فانها كانت وسيلة العلم الوحيدة قبل ان قام السفسطائيون بعملهم الشبه علمى المؤسس على المنطق

نتج مما سبق ان تمكنت الفلسفة من طرد الدين فى اليونان القديمة